



ماهية النظام الأبوي

كاملا بهاسين

ما هي نظام

ما هي النظام الأبوي؟

كاملا بهاسين

كلمة
و
كي
Patria
حكم

. Patria
متخدمت

نوع

من

ت التي

عليها

- أي

الكبيرة

لتي تضم

والرجال

والأطفال

المنزل

تحت

هذا

المهيمن

خدم

الكلمة

عموما إلى

الذكور

علاقات

التي يهيمن

لنها

على

ولتمييز

تخضع

لته النساء

عدة



الكتاب: ما هية النظام الأبوي

العنوان الأصلي للكراسة:

What is Patriarchy?

سلسلة: دفاتر النسوية. الكتاب الثاني

المؤلفة

Kamla Bhasin

الترجمة: مجدي النعيم

الناشر

Kali for women

New Delhi

First published 1993. first reprint 2001

تصدر الكراسة كجزء من مشروع

"نحو حركة من أجل استئصال العنف ضد المرأة"

(MOTIVE) (مركز سالة لدراسات ومصادر المرأة.

مركز الجندر للتدريب والبحوث. منظمة بانوس-

سودان.

حقوق النشر: محفوظة لمركز سالة لدراسات

ومصادر المرأة



المخطوط: منزل رقم 23-2WE

Salmah Women Resource Center

P. O. Box 13465 Khartoum 11111 Sudan

Tel: +249 (1) 83 578902

Fax: +249 (1) 83578901

البريد الإلكتروني: salmmah@gmail.com

المراجعة اللغوية: سيد ضيف الله

غلاف: أيمن حسين

الإشراف الفني والإخراج: وحدة النشر: مركز سالة

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٧٠٣٥

التقييم الدولي:

ما هية النظام الأبوي؟

كاملا بهاسين

ترجمة: مجدي النعيم

مقدمة

• • • • •

بهولندا) التي شاركت بوصفها خبيرة. لقد أُلِّت تلك الورشة الكثير من المفاهيم. ليس بالنسبة لي فحسب. وإنما لمعظم المشاركين كذلك.

لقد كنت أبحث منذ ذلك الحين (عام ١٩٨٧). عن مقالات قصيرة مبسطة حول موضوع الأبوية يمكنني أن أتناقش حولها مع النشطاء من الرجال والنساء. وكان معظم ما قرأت إما عصياً على الفهم. أو زاخراً بالرطانة المصطلحية. أو كان يفترض المعرفة المسبقة بالموضوع. ومن ثم فقد بدأت أفتح النقاش حول الأبوية في مختلف ورش العمل مستعينة بملاحظات المدونة وبالعروض الذي قدمته أُمريت في بنغلاديش ومن خلال هذه المناقشات أصبح إدراكي للموضوع أكثر وضوحاً كما عثرت على بعض المقالات والكتب التي كانت ملائمة تماماً لذلك فقد قررت أن أحاول وضع كل ما قرأت. وكل ما أعجبتني وفهمته في شكل سهل ومفيد. كما أمل.

أحاول في هذه الكراسة فحص الأبوية كما نعيشها في حياتنا بوصفها مفهوماً يفسر إخضاع النساء. (نقدم هنا بإيجاز شديد بعض النظريات المتعلقة بجذور الأبوية. ولكي يمتلك القارئ/ة فهماً مفصلاً للأبوية لابد من مزيد من القراءات) فهذه الكراسة أعدت من أجل النشطاء الذين لا يستطيعون الحصول على الكتب والدوريات. أو الوقت اللازم لقراءتها. لكنني أمل أن تشجع الكراسة بعض النشطاء على قراءة المزيد حول موضوع الكراسة. وأشد ما نحتاجه هو المزيد من العمل على المستوى المفاهيمي حول طبيعة وأصل وجذور الأبوية في مجتمعنا. لكي نتمكن من فهم أوضاعنا بشكل أفضل.

أقدم مادة هذه الكراسة في شكل أسئلة وأجوبة. وهو شكل سبق أن استخدمته في كراسة حول النسوية ووجه الناس يسراً في استيعابه.

ما هي الأبوية؟



ما تعني بالأبوية؟

في تعني كلمة أبوي أو بطريركي Patriarchy حرفياً حكم الأب. Patriarch وقد استخدمت لوصف نوع محدد من السلطة التي يهيمن عليها الذكر- أي العائلة الكبيرة للأب الذي يهيمن النساء والرجال. الشباب والأطفال وخدم المنزل وغالباً فقد سيطرة هذا الذكر المهيمن. وتستخدم اليوم الكلمة ليشير عموماً إلى أهمية الذكور وإلى علاقات القوة التي يهيمن بواسطتها الرجال. على النساء. ولتمييز نظام يهيمن بواسطته النساء بسبل عدة.

في الإقصاء الذي تعاني منه نحن النساء على المستوى الفردي. في بعض النظم من الطبقة التي قد ننتمي لها يأخذ شكل التمييز وعدم الاحترام والإهانة والتحكم والاستغلال والقمع والعنف داخل العائلة. وفي مكان العمل. وفي المجتمع. في مختلف التفاصيل. لكن الموضوع يظل هو نفسه.

س: كيف تعبر الأبوية عن نفسها؟ هل يمكننا التعرف عليها في حياتنا الخاصة؟

ج: تشعر بالأبوية وتعرفها كل من عانت حتى من تمييز بسيط أو تحيز أو عدم قبول. حتى لو لم يستطعن تسميتها. في كل مرة تحدث النساء عن تجاربهن كنساء في ورش العمل وحلقات التدريب. كن يصفن بالفعل أشكالاً مختلفة من السيطرة الأبوية التي خبرنها شخصياً. وتكفي أمثلة قليلة لتوضيح ما أقصده. ويعبر كل مثال عن شكل من التمييز ووجه محدد من الأبوية.

"لقد سمعت أن عائلتي لم تكن سعيدة عندما ولدت. فقد أرادوا صبياً" (تفضيل الولد)

"يستطيع إخوتي أن يطلبوا الطعام. وأن يمدوا أيديهم ليتناولوا ما يريدون. أما نحن فيقال لنا أن ننتظر حتى يعطوننا الطعام. كان علينا نحن الأخوات والأم أن نقنع بما يتبقى". (التمييز ضد الفتيات في توزيع الغذاء).

"علی أن أساعد أُمي في الأعمال المنزلية. أما أخوتي فلا يفعلون". (عبء العمل المنزلي على النساء والفتيات).

"كان ذهابي إلى المدرسة كفاحاً. لقد اعتقد أبي أنه ليس ضرورياً بالنسبة إلى الفتيات الذهاب إلى المدرسة" (نقص فرص التعليم أمام الفتيات).

"لم أكن أستطيع الخروج لملاقة صديقتي أو اللعب".

"يمكن لإخواني أن يعودوا في أي وقت. لكن علی أن أعود قبل حلول الظلام" (تقييد حرية وحركة الفتيات).

"كان أبي كثيراً ما يضرب أُمي" (ضرب الزوجات)

"إخوتي أسوأ من أبي. فهم لا يريدونني أن أحدث مع أي ولد" (سيطرة الذكور على النساء والفتيات).

"لأنني لم أرغب في الاستسلام لرغبات رئيسي. طردت من العمل" (التحرش الجنسي في مواقع العمل).

"ليس لي نصيب في ملكية أبي. وكذلك ملكية زوجي. في الواقع ليس هناك منزل أستطيع أن أسميه بيتي" (حرمان النساء من الميراث أو حقوق الملكية).

"علی أن أسلم جسدي إلى زوجي متى رغب. ليس لي قرار في الأمر. أخاف الجنس. ولا أستمتع به" (سيطرة الذكور على أجساد النساء ونشاطهن الجنسي).

"وددت لو استخدم زوجي وسائل تنظيم الأسرة. لكنه رفض. ولم يأذن لي أيضاً أن أجرى عملية" (عدم التحكم في الخصوبة أو الحقوق الإنجابية).

عندما نشعر في تأمل هذه الشذرات من الخبرات الحياتية. تبدأ هذه الخبرات في تشكيل نمط. ندرك أن كل واحدة منا عليها أن تناضل بطريقة أو بأخرى ضد هذا التمييز. إن الشعور بالإخضاع وتجربته يدمر احترام الواحدة منا وتقديرها لنفسها وثقتها في نفسها ويضع حدوداً لطموحاتها. ويجد كل فعل شجاع نقوم به لتأكيد ذاتنا الإدانة بوصفه عملاً "غير أنثوي". يقال لنا إنكن "بلا حياء" لحظة أن نحاول الخروج عن المساحات والأدوار المحددة لنا.

إن الأفكار والممارسات التي تصوّرنا بوصفنا أدنى من الرجال. والتي تفرض علينا القيود حاضرة في كل مكان: في عائلاتنا. في العلاقات الاجتماعية. في الدين. في القانون. في المدارس. في الكتب. في الإعلام. في المصانع. وفي المكاتب.

وعندما تنصت الواحدة منا إلى الأخرى ندرك أن هذا الإخضاع ليس هو قدر قليلات سيئات الحظ منا. وليس الأمر بضعة رجال "أشرار" يستغلون أو يقمعون بعض النساء. إذ نبدأ إدراك أن ما نواجهه هو نظام. نظام من سيطرة الرجال وتفوقهم وتحكمهم.. نظام تخضع فيه النساء.

س: هل يلخص مصطلح أبوية نوع الهيمنة الذكورية التي نراها حولنا طول الوقت؟

ج: نعم يمكننا قول ذلك. لكن الأبوية أكثر من مجرد مصطلح. فالنسويات يستخدمن المصطلح بوصفه مفهوماً. ومثل كل المفاهيم فهو أداة تساعدنا على فهم واقعنا. وقد عرّف الأبوية أشخاص مختلفون بطرق مختلفة. تستخدم جوليت ميتشيل على سبيل المثال، وهي عالمة نفس نسوية كلمة أبوية للإشارة إلى النظم القرابية التي يتبادل فيها الرجال النساء. وللإشارة إلى السلطة الرمزية التي يمارسها الآباء في هذه النظم. وتقول جوليت إن هذه السلطة مسئولة عن نفسية "الشعور بالدونية" عند النساء. وتسمى سيلفيا والبي الأبوية في كتابها "تنظير الأبوية" نظاماً من البني والممارسات الاجتماعية يسيطر فيها الرجال على النساء ويقهروهن ويستغلوهن. ومثلما تذكرنا سيلفيا والبي من المهم فهم الأبوية بوصفها نظاماً لأن هذا يساعدنا على رفض فكرة الحتمية البيولوجية (التي تقول إن الرجال والنساء مختلفون بطبيعتهم بسبب أجسادهم أو بيولوجيتهم. ومن ثم فقد أسندت لهم أدوار مختلفة). أو فكرة أن أي رجل يقف دائماً في موقع الهيمنة وأي امرأة تقبّع في موقع الخضوع.

وترتبط بهذا النظام الأيديولوجيا القائلة بتفوق الرجال على النساء. وأن النساء خاضعات. ويجب أن يخضعن للرجال وأن النساء هن جزء من ممتلكات الرجل. ففي بعض لغات جنوب آسيا، على سبيل المثال، يستخدم كلمات swami وشوهار shauhar وباتي pati ومالك malik لتسمية الزوج وكلها كلمات تعني "المالك".

س: هل الأبوية هي نفسها في كل مكان؟

ج: لا. ليس دائماً. فقد تكون طبيعة الأبوية. وهي كذلك فعلاً مختلفة باختلاف الطبقات في المجتمع الواحد؛ وهذا هو الحال في مختلف المجتمعات وفي مختلف فترات التاريخ. لكن المبادئ العريضة تظل هي ذاتها. أي أن الرجال هم المسيطرون. لكن تختلف طبيعة هذه السيطرة. على سبيل المثال، تجربة الأبوة في زمن جداتنا ليست هي نفسها اليوم. وهي مختلفة بالنسبة لنساء القبائل عنها للطوائف العليا عند النساء الهندوكيات؛ ومختلفة عند نساء الولايات المتحدة عنها عند نساء الهند. فكل نظام اجتماعي أو فترة تاريخية تنتج تنوعاتها الخاصة في كيفية اشتغال الأبوية. وفي كيفية اختلاف الممارسات الاجتماعية والثقافية. وسنناقش هذا تفصيلاً بعد قليل. لكن من المهم الاعتراف بهذه الاختلافات حتى نتمكن من تحليل وضعنا الخاص بشكل أفضل والتوصل إلى استراتيجيات ملائمة للتعامل مع هذا الوضع في آن معاً.

س: ما الذي يسيطر عليه الرجال في النظام الأبوي؟

ج: عادة يمكن القول أن المجالات التالية من حيوات الناس تقع تحت السيطرة الأبوية.

١ - قوة إنتاجية أو عمل النساء

يسيطر الرجال على إنتاجية النساء داخل العائلة وخارجها في العمل مدفوع الأجر. فداخل العائلة تقدم النساء كل أنواع الخدمات المجانية إلى أطفالهن وأزواجهن وأفراد الأسرة الآخرين طوال حياتهن. وفيما تسميه سيلفيا والبي "نمط الإنتاج الأبوي" يسيطر الأزواج والرجال الآخرون الذين يعيشون في هذا النمط على عمل النساء. وتقول سيلفيا إن الزوجات هن الطبقة المنتجة، والأزواج هم الطبقة التي تصدر هذا العمل. وعمل

النساء الذي يقصف الظهر المكرر الذي لا ينتهي لا يعتبر عملاً مطلقاً وتعتبر كل الزوجات معيلات من قبل أزواجهن.

كذلك يسيطر الرجال على عمل النساء خارج المنزل بوسائل عديدة. فهم قد يجبرون زوجاتهم على بيع عملهن، أو قد يمنعوهن من العمل. وهم قد يستحوذون على ما تكسبه زوجاتهم. وقد يسمحون لهن بالعمل بشكل متقطع على أساس انتقائي. ومن ثم تستبعد النساء من الوظائف ذات الأجر الجيد. فهن يجبرن على بيع عملهن مقابل أجور زهيدة، أو على العمل من المنزل فيما يسمى بالإنتاج المنزلي. وهو نظام أكثر استغلالاً.

وتعني هذه السيطرة والاستغلال لعمل النساء أن الرجال يستفيدون مادياً من الأبوية. فهم يحققون مكاسب اقتصادية ملموسة من إخضاع النساء. وبعبارة أخرى. هناك أساس مادي للأبوية.

٢ - السيطرة على القدرة الإيجابية للنساء

يسيطر الرجال أيضاً على القدرة الإيجابية للنساء. ففي العديد من المجتمعات لا تملك النساء حرية البت في كم من الأطفال يردن ومتى. وما إذا كان بإمكانهن استخدام موانع الحمل، أو إنهاء الحمل إلخ. وبالإضافة إلى السيطرة الذكورية الفردية. فإن المؤسسات التي يسيطر عليها الرجال مثل الكنيسة أو الدولة (أي الدين والسياسة) تضع القواعد بشأن قدرة النساء الإيجابية. وهذه هي السيطرة المأسسة (أي القائمة على الآليات المؤسسية - المترجم) ففي الكنيسة الكاثوليكية. على سبيل المثال. تقرر التراتبية الدينية الذكورية إذا ما كان بإمكان الرجال والنساء استخدام وسائل منع الحمل. وأي وسائل مسموح بها. وما إذا كان بإمكان النساء إجهاض الحمل غير المرغوب فيه وما إلى ذلك. إن نضال النساء المستمر

في كل البلدان تقريباً (من أجل حرية اختيار متى وكم طفل سينجب هو مؤشر على مدى قوة هذه السيطرة ومدى مانعة الرجال في التخلي عنها. وسنناقش في القسم التالي: لماذا يسيطر الرجال على قدرة النساء الإيجابية؟

تحاول الدولة الأبوية في الأزمنة الحديثة السيطرة على قدرة النساء على إعادة الإنتاج (الإجاب) من خلال برامجها الخاصة بتنظيم الأسرة. فالدولة تقرر الحجم الأمثل لسكان البلد. وطبقاً لذلك تعمل بنشاط لتشجيع أو عدم تشجيع النساء على إجاب الأطفال. ففي الهند برنامج قاس للسيطرة على عدد المواليد بهدف إلى تقليل حجم الأسرة بشكل كبير. وفي ماليزيا تواجه النساء الإلحاح على إجاب أطفال كثيرين لضمان سوق محلي كبير لمنتجات البلاد الصناعية. وفي أوروبا. حيث نسبة المواليد منخفضة جداً. تغري النساء بواسطة مختلف الحوافز لإجاب المزيد من الأطفال. فهن يمنحن إجازة ولادة طويلة مدفوعة الأجر. وفرص للعمل بدوام جزئي. وتجهيزات لرعاية الأطفال إلخ. بل تمنح بعض البلدان "إجازات ولادة للأب". كذلك تتغير أيديولوجيا وسياسات الدولة طبقاً للطلب على العمل والاقتصاد. فقد دعت النساء في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. على سبيل المثال. عندما كانت هناك حاجة إلى قوة عمل لإعادة بناء البلد. إلى استلام الوظائف والمشاركة في إعادة بناء البلد. وعلى العكس من ذلك قيل للنساء اللاتي شاركن بنشاط في خطوط الجبهة في بريطانيا بعد كسب الحرب أن يعدن إلى المنازل وأن الرجال سينخرطون في أنشطة زمن السلام. ويوضح انفجار المواليد الشهير في الولايات المتحدة في الخمسينيات هذا التوجه ويبين موافقة الدولة الضمنية على أيديولوجية الأمومة.

أيديولوجيا الأمومة مفهوم مركزي في تحليل النسوية الراديكالية لأوضاع النساء. وطبقاً للنسويات الراديكاليات.

فالنساء خاضعات بسبب فرض عبء الأمومة والتنشئة عليهن وحدهن من قبل المجتمعات الأبوية. والأمومة تفرض من خلال حرمان النساء الشباب من المعلومات الكافية عن منع الحمل. والموانع التي توفرها المجتمعات غير مريحة، أو لا يعتمد عليها، أو مكلفة، بل كثيراً ما تكون خطيرة. وهن يشددن على أن الأبوية تقيد الإجهاض وكثيراً ما ترفضه كلياً. لكنها تعرض النساء في نفس الوقت إلى ضغط شديد ومتواصل من أجل الدخول في علاقات جنسية (١).

وعلاوة على ذلك لا تجبر الأبوية النساء على أن يصبحن أمهات فحسب، بل هي أيضاً تحدد شروط أمومتهم. وتعد أيديولوجيا الأمومة هذه إحدى أسس قمع النساء لأنها تخلق نمطين من الشخصيات: ذكورية وأنثوية، مما يؤيد الأبوية. وهي تخلق وتقوى الانقسام بين الخاص والعام، وتقيد حركة النساء ونموهن وتعيد إنتاج الهيمنة الذكورية.

٣ - السيطرة على النشاطية الجنسية للمرأة*

هذا مجال آخر مهم من مجالات إخضاع النساء. فالنساء مجبرات على تقديم الخدمات الجنسية لرجالهن حسب حاجاتهم ورغباتهم. وهناك نظام أخلاقي وقانوني كامل لتقييد تعبير النساء عن أنشطتهن الجنسية خارج الزواج في كل المجتمعات. حيث جرى العرف على غض الطرف عن نشاط الذكور خارج الزواج. وعلى الجانب الآخر من المسألة قد يجبر الرجال زوجاتهم أو بناتهم أو النساء الأخريات الواقعات تحت سيطرتهم على ممارسة البغاء، أي المتاجرة بنشاطهن الجنسي. والاعتصاب والتهديد به وسيلة أخرى تقهر بها النساء من خلال استخدام مفاهيم "العيب" و"الشرف". ولكي تتم السيطرة على النشاط الجنسي للنساء فإن قواعد السلوك العائلية والاجتماعية والثقافية والدينية تراقب بعناية ملابسهن وسلوكهن

.....

وحركتهن.

ويقول التحليل النسوي الراديكالي إن النساء في ظل الأبوية لسن أمهات فقط. وإنما أيضاً مستعبدات جنسياً وأن الأيديولوجيا الأبوية تفرض مقابلة نمطية بين النساء ككائنات جنسية وبين النساء كأمهات. ومع استثناء الأمهات جزئياً، تعرف الثقافة الذكورية النساء بوصفهن أشياء لمنفعة الذكور. وطبقاً للنسوية الراديكالية، قد لا يكون الاعتصاب موجوداً في كل المجتمعات، لكنه سمة مائزة من سمات الأبوية. فهي ترى الاعتصاب بوصفه سلاحاً سياسياً، عملاً سياسياً قمعياً يمارسه أعضاء طبقة نافذة ضد أعضاء طبقة لا حول لها. كذلك تركز النسويات الراديكاليات اهتمامهن على البغاء المأسوس، والفنون والآداب الخلاعية والتعددية الجنسية القسرية كأمثلة أخرى للسيطرة على النشاطية الجنسية للنساء في ظل الأبوية.

٤ - حركة النساء

يحتاج الرجال، لكي يتحكموا في النشاطية الجنسية للنساء، وفي إنتاجهن، وتكاثرهن إلى السيطرة على حركتهن. ويقيد فرض زي معين، والقيود المفروضة على مغادرة الفضاء المنزلي، والفصل الصارم بين العام والخاص، والقيود على التفاعل بين الجنسين وما إلى ذلك حركة النساء وحريتهن بأشكال تقتصر عليهن فهي قيود تقوم على النوع gender-specific لأن الرجال لا يتعرضون لنفس هذه القيود.

٥ - الممتلكات والموارد الاقتصادية الأخرى

يسيطر الرجال على معظم الممتلكات وموارد الإنتاج الأخرى وينقلونها من رجل إلى آخر، (عادة من الأب إلى الابن). وحتى عندما تكون هناك نساء لهن الحق القانوني في وراثة مثل

.....

هذه الأصول الاقتصادية. تحول مجموعة كاملة من الممارسات العرفية، والضغط العاطفية والعقوبات الاجتماعية، والعنف الصريح أحياناً دون حصولهن على السيطرة الفعلية على هذه الأصول.

وفي حالات أخرى تقلص قوانين الأحوال الشخصية هذه الحقوق بدلاً من تعزيزها. وفي كل الأحوال فهن محرومات. وتوضح إحصاءات الأمم المتحدة هذا الوضع بما فيه الكفاية: "تؤدي النساء أكثر من ٦٠٪ من ساعات العمل المؤداة في العالم، لكنهن يحصلن على ١٠٪ من دخل العالم ويملكن ١٪ من الممتلكات في العالم".

س: قلت أن كل المؤسسات الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية والثقافية يسيطر عليها الرجال عموماً. هل يمكنك التوضيح أكثر؟

ج: يكشف تحليل كل المؤسسات في المجتمعات أنها أبوية بطبيعتها. وأعمدة النظام والبنية الأبوية هي العائلة والدين والإعلام والقانون وهذا النظام المتراس وعميق الجذور يجعل الأبوية تبدو وكأنها لا تفهر. ويجعلها أيضاً تبدو طبيعية.

أ- الأسرة

لعل الأسرة، وهي الوحدة الأساسية للمجتمع، هي المؤسسة الأكثر أبوية. ويعتبر الرجل رأس العائلة؛ وهو يسيطر داخل الأسرة على النشاطية الجنسية للنساء، وعملهن أو إنتاجهن. وتكاثرهن وحركتهن. وهناك تراتبية. الرجل فيها هو المتفوق والمهيمن، والمرأة هي الدنيا والخاضعة. والأسرة مهمة كذلك لتنشئة الأجيال اللاحقة على القيم الأبوية فداخل الأسرة نتعلم أولى دروسنا في الأبوية والخضوع والتمييز. فالأولاد يتعلمون الهيمنة وفرض أنفسهم. وتتعلم الفتيات

الخضوع وتوقع المعاملة غير المتكافئة. مرة أخرى، رغم أن نطاق وطبيعة السيطرة الذكورية تختلف باختلاف العائلات، لكنها لا تغيب أبداً.

وحسب جيردا ليرنر تلعب الأسرة دوراً مهماً في خلق النظام التراتبي والحفاظ على النظام في المجتمع. تقول جيردا "لا تعكس الأسرة النظام السائد في الدولة وتعلم الأطفال أتباعه فحسب، بل تخلق هذا النظام وتعززه باستمرار" (٢).

ب- الدين

معظم الأديان الحديثة أديان أبوية. تقدم تعريفاً للسلطة الذكورية بوصفها الأسمى. وهي تقدم النظام الأبوي بوصفه نظاماً إلهياً مفروضاً من أعلى. وقد أضعف المبدأ النسوي للسلطة الذي كان موجوداً قبل تطور الأديان المأسسة تدريجياً. وحل محل الإلهات.

لقد ظهرت كل الأديان الرئيسية وفسرت وتم التحكم فيها على يد رجال الطبقة والطائفة العليا؛ وهم من وضعوا حدود الفضيلة والأخلاق والسلوك. بل والقانون. وأرسوا واجبات وحقوق الرجال والنساء والعلاقة بينهما. وقد مارس هؤلاء الرجال التأثير على سياسة الدولة واستمروا بوصفهم القوة الرئيسية في المجتمعات؛ فسلطة وحضور الرجال في جنوب آسيا هائلتان. ففي الهند، على سبيل المثال، ورغم حقيقة أنها بلد علماني، يحدد الدين هوية الشخص القانونية فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث.

اليوم لدينا تحليل كافٍ يوضح كاف أن كل الأديان تعتبر النساء أدنى وجنسات وخاطنات؛ ويوضح كيف خلقت معايير مزدوجة للأخلاق والسلوك؛ وكيف أن القوانين الدينية كثيراً ما تبرر استخدام العنف ضد النساء "المنحرفات"؛ وكيف قُرم وغلل العلاقات الجائرة بالرجوع إلى القوانين "الدينية"

والمعتقدات الأساسية.

ج- النظام القانوني

النظام القانوني في معظم البلدان أبوي وبورجوازي. أي يحابي الرجال ومن الناحية الاقتصادية يحابي الطبقات النافذة القوية اقتصادياً. وترتبط القوانين المتعلقة بالأسرة والزواج والميراث بالسيطرة الأبوية على الملكية.

ففي كثير من المجتمعات تعتبر النظم القانونية الرجل أس الأسرة والوصي الطبيعي على الأطفال والوارث الأساسي للممتلكات. ونظم الفقه والقضاء والمحاماة هي نظم أبوية في غالبيتها. في توجهاتها وفي تفسيرها للقانون.

د- النظام والمؤسسات الاقتصادية

يتحكم الرجال داخل النظام الاقتصادي الأبوي في المؤسسات الاقتصادية ويملكون معظم الممتلكات. ويوجهون النشاط الاقتصادي ويحددون قيمة مختلف الأنشطة المنتجة. ومعظم العمل المنتج الذي تقوم به النساء لا يعترف به ولا تتلقى النساء أجراً عنه. وكما لا تدخل مساهمتهن في خلق الفائض. من خلال ما تسميه ماريما مايز "عمل الظل". في الحساب مطلقاً. وكذلك لا يجد العمل المنزلي التقييم الكلية. وعلاوة على ذلك لا يوضع دور النساء بوصفهن من ينجبن وينشئن الأطفال وقوة العمل في الاعتبار.

هـ- النظم والمؤسسات السياسية

يسيطر الرجال على كل المؤسسات السياسية في المجتمع تقريباً. على كل المستويات من مجالس القرى إلى البرلمان. فهناك بضع نساء في الأحزاب السياسية أو المنظمات التي تقرر مصير بلداننا. وعندما تتسنى لبعض النساء بعض المواقع

السياسية المهمة (سيرامافو باندرونيكا. أنديرا غاندي. بنازير بوتو. خالدة ضياء) فهن يحققن ذلك بداية بسبب ارتباطهن ببعض الشخصيات السياسية القوية من الذكور. ويعملن من خلال البنئ والمبادئ التي أرساها رجال. وعلى الرغم من وجود العديد من هؤلاء النساء في بعض الدول. خاصة في آسيا. إلا أن نسبة النساء في برلمانات هذه الدول لم يتجاوز في معظم الأحيان العشرة في المائة.

و- الإعلام

وسائل الإعلام أدوات مهمة جداً في يد رجال الطبقة العليا لنشر أيديولوجيا الطبقة والنوع. فصورة النساء في الأفلام والتلفزيون والمجلات والصحف والإذاعة مقولبة ومشوهة. وتكرر باستمرار الرسائل الإعلامية حول تفوق الرجال ودونية النساء. ويتفشى العنف ضد النساء. خاصة في الأفلام. وكما في القطاعات الأخرى. فإن حضور النساء في الإعلام محدود جداً من الناحية المهنية. وما تزال التحيزات في التغطية والتحقيقات والإعلانات والرسائل الإعلامية قائمة.

ز- المؤسسات التعليمية ونظم المعرفة

منذ أن أصبح التعليم والتعلم رسمياً ومؤسسياً سيطر الرجال على مجالات كاملة من المعرفة من فلسفة وعلوم دينية وقانون وآداب وفنون وعلوم. وقد همشت هيمنة الرجال على عملية خلق المعرفة. معرفة النساء. وخبراتهم وتجاربهن ونظراتهن.

لقد حيل دون النساء ودراسة الكتب المقدسة بشكل منهجي في العديد من الثقافات. وإلى اليوم هناك القليل جداً من النساء ممن يسمح لهن بتفسير النصوص الدينية والقانونية. تقول جيردا ليرنر.

لقد رأينا كيف انتحل الرجال ثم حولوا الرموز الكبرى
لسلطة النساء: سلطة الأم الإلهة وسلطة إلهة الخصوبة.
ورأينا كيف بنى الرجال لاهوتيات تقوم على مجاز تناسل
الذكر المنافي للواقع وأعادوا تفسير وجود الأنثى بشكل
ضيق وتابع جنسياً. وأخيراً رأينا كيف أن مجازات الجنود قد
عبرت عن الرجل بوصفه النموذج والأنثى بوصفها انحرافاً
عن النموذج. الرجل باعتباره كاملاً وقوياً، والمرأة باعتبارها
ناقصة، ومشوهة وينقصها الاستقلال. وعلى أساس هذه
المعاني الرمزية.. فسر الرجال العالم بلغتهم وحددوا الأسئلة
المهمة حتى يجعلوا من أنفسهم مركز الخطاب (٣).

وحسب بعض النسويات، فإن الفكر والمعرفة الأبوية
تتميز بالانقسامات والتمييزات والتعارضات والثنائيات. فهن
يعتقدن أن الأبوية تعارض الذات بالآخر. والعقل بالعاطفة.
والدارس بموضوع بحثه. ويؤمن أحد طرفي الثنائية في أي من
هذه التقابلات أكثر من الآخر وتشدد نظم المعرفة الأبوية على
التخصص. وهي مقسمة بشكل ضيق ومتشظية وغير قادرة
على رؤية كليانية الظاهرة (٤).

وقد خلقت المعرفة والتعليم اللتان يسيطر عليهما الذكر
وأيدتا الأيديولوجيا الأبوية. خلقتا ما تسميه سلفيا والبي
"أشكالاً من الذاتية المتميزة من ناحية الجنود (٥). فالرجال
والنساء يتصرفون ويفكرون ويتطلعون بشكل مختلف لأنهم
دربوا على التفكير في الذكورة والأنوثة بأشكال حدد هذا
الاختلاف وتشرطه.

س: ألا تعتقد بعض النسويات أن هناك عنفاً مؤسسياً

ضد النساء في العديد من المجتمعات؟

ج: نعم يعتقدن ذلك. وطبقاً لهؤلاء النسويات فقد
تستخدم أنواع مختلفة من العنف للسيطرة على النساء

واخضاعهن. بل قد يعتبر هذا العنف الذي يرتكبه الرجال
مشروعاً. وفي الحقيقة فالعنف ضد النساء منتشر إلى حد أن
سلفيا والبي تسمى عنف الذكور بنية. تقول سلفيا "يشكل
عنف الذكور بنية أخرى رغم أنه يتخذ شكلاً فردياً ومتبايناً.
وهو سلوك تعانيه النساء على يد الرجال بشكل روتيني.
ويضفي رفض الدولة التدخل ضد عنف الذكور، سوى في
حالات استثنائية، الصفح والمشروعية على هذا العنف بشكل
منهجي.

وقد كان العنف ضد النساء إحدى أولى القضايا التي تصدّت
لها الحركة الدولية للمرأة بالنقاش والتحليل. وقد درس الفكر
النسوي الجانب النظري لهذا العنف بأشكال عدة اتفقت كلها
على الأقل على القول بأن: هذا عنف منهجي ومؤسسي.

وطبقاً لماري دالي يشن حكام الأبوية (الذكور ذوي السلطة)
حرباً متزايدة ضد الحياة نفسها. "إن حالة الأبوية هي حالة
الحرب التي تسمى فيها فترات التعافي من معركة والتحفز
الأخرى "سلاماً" من باب التلطيف". وبالنسبة لدالي فإن عادة
حرق الأرملة في الهند، وطقس حشر الأقدام في الأحذية
الحديدية في الصين، وتشويه الأعضاء التناسلية (الختان) في
أفريقيا، وقتل النساء بوصفهن ساحرات في أوروبا "النهضة"
والإبادة الجماعية (قتل الإناث) تحت ستار علم أمراض النساء
والعلاج النفسي في أمريكا هي أمثلة لكرهية الإناث والعنف
ضد المرأة تمارس في ثقافات مختلفة في العالم (٦).

لقد أصبح العنف ضد المرأة موثقاً ومحللاً للتعليق والدرس
في كثير من أنحاء العالم وجرت محاولات لتقصي العلاقة بين
العنف والاستغلال الاقتصادي للنساء وبين العنف والنشاطية
الجنسية. وبين العنف والطبقة والطائفة إلخ. وقد صدر عن
مؤتمر لمنظمات المرأة المستقلة عقد في الهند في ١٩٨٨ القرار
النالي:

تواجه النساء أشكالاً معينة من العنف: الاغتصاب والانتهاكات الجنسية الأخرى. وقتل الأجنة الإناث، وقتل الساحرات والقتل من أجل المهر وضرب الزوجات. ويجعل هذا العنف والشعور المستمر بعدم الأمان المغروس في النساء، هؤلاء النساء حبيسات البيت، ومستغلات اقتصادياً ومجموعات اجتماعياً. إننا ندرك في نضالنا المستمر ضد العنف في الأسرة والمجتمع والدولة أن الدولة هي أحد أهم مصادر العنف وتقف وراء العنف الذي يرتكبه الرجال ضد النساء في الأسرة ومكان العمل والسكن. ولهذا السبب ينبغي أن تركز حركة النساء الجماهيرية على النضال ضد العنف في المنزل وخارجه (٧).

س: هل يمكننا القول أن سيطرة الرجال على هذه المؤسسات يفيدهم بشكل مباشر؟

ج: عموماً يمكننا قول ذلك. ولا يستفيد الرجال فقط من ناحية الحصول على مزايا وسيطرة أكبر فحسب. لكنهم يستفيدون أيضاً اقتصادياً ومادياً. إن للأبوية أساسها المادي. وهذا ما تعنيه سلفيا والبي عندما تقول إن النساء هن الطبقة المنتجة والرجال هم الطبقة المستغلة. وتقول هايدي هارتمان. وهي باحثة نسوية تعتقد بوجود علاقة قوية جداً بين الأبوية والرأسمالية:

«يقع الأساس المادي للأبوية أساساً في سيطرة الرجال على قوة عمل النساء. ويحافظ الرجال على هذه السيطرة عن طريق استبعاد النساء من الوصول إلى بعض الموارد الإنتاجية المهمة (الوظائف التي تدر أجوراً كافية للعيش. على سبيل المثال، في المجتمعات الرأسمالية). وعن طريق تقييد النشاطية الجنسية للنساء. والزواج الأحادي أحد الأشكال الحديثة نسبياً والفعالة التي يبدو أنها تسمح للرجال بالسيطرة على تينك المجالين. وتسمح السيطرة

على نفاذ النساء إلى الموارد وأنشطتهن الجنسية بدورها للرجال بالتحكم في عمل النساء من أجل خدمة الرجال بأشكال شخصية وجنسية متعددة. ومن أجل تنشئة الأطفال على السواء. وتتم الخدمات التي تقدمها النساء للرجال -والتي تعتق الرجال من القيام بالعديد من المهام المزعجة- خارج وداخل الأسرة.. إذن لا يقوم الأساس المادي للأبوية على تنشئة الأطفال في الأسرة فقط. وإنما على البنيات الاجتماعية التي تمكن الرجال من السيطرة على عمل النساء (٨)».

س: هل النساء لا حول لهن في النظم الأبوية؟

ج: عموماً يمسك الرجال بالسلطة في كل المؤسسات المهمة في المجتمع الأبوي لكن هذا لا يعني أن النساء بلا حول ولا قوة كلية. أو لا حقوق ولا نفوذ ولا موارد لهن في ظل الأبوية. وفي الواقع لا يستمر أي نظام جائر بدون مشاركة المقموعين. الذين يجني بعضهم بعض الفوائد من هذا النظام. وهذا ينطبق على النظم الأبوية كذلك. لقد صعدت النساء إلى السلطة وأصبحن ملكات أو رئيسات وزارة. ومسكن بمقالييد الأمور في بعض الأحيان وانتزعن مكاسب بدرجة أكبر أو أقل. لكن هذا لا يغير من حقيقة أن النظام نظام ذكوري تستوعب النساء فقط داخله بأشكال مختلفة. ولنقرب الصورة. يلعب العمال في المجتمع الرأسمالي دوراً مهماً جداً. بل قد يشاركون في الإدارة إلى حد ما. لكن هذا لا يعني أنهم يمسكون بمقالييد الأمور.

نطرح جيردا ليرنر نقطة ذات دلالة:

«يعيش الرجال والنساء على مسرح يؤدي كل الدور المسند له بأهمية متساوية. والمسرحية لا يمكن أن تستمر بدون النوعين من المؤدين. "يسهم" كلاهما في الكل تقريباً. لا أحد منهما هامشي أو غير ضروري. لكن إعداد المسرح.

تصوره ولونه وحدده الرجال. كتب الرجال المسرحية وأخرجوا العرض وفسروا معاني الحركة، وأسندوا لأنفسهم الأجزاء الأكثر إثارة والأكثر بلاغة ومنحوا النساء الأدوار المساندة. وبعبارة أخرى فالمشكلة ليست فيما تفعل النساء وما يلعبنه من أدوار، وإنما في كيف تقيّم النساء ومن يملك حق إسناد القيمة للناس. المشكلة ليست أن النساء مستبعدات من السلطة أو المكانة على وجه الخصوص. المشكلة في الإطار نفسه، والإطار حدده الرجال».

س: لكن النساء يدعمن حكم الرجال. وبدون تعاونهن لن تقوم للأبوية قائمة. لماذا يفعلن ذلك؟

ج: يعود ذلك إلى أسباب معقدة. وبعضها مألوف. فنحن نعرف على سبيل المثال أنه بدون مساعدة الجنود المحليين ورجال الشرطة وموظفي الخدمة المدنية ما كان بإمكان حفنة من الحكام البريطانيين حكم بلاد وقارات واسعة. وبدون التعاون الضمني من قبل العبيد ما استمرت العبودية طويلاً. والأمر كذلك بالنسبة للنساء. فهن جزء من النظام، استنبطن قيمه. وهن أسيرات الأيديولوجيا الأبوية. وكما قلنا آنفاً فهن ينتزعن بعض المناسب منه أيضاً. وهناك أيضاً جملة من العلاقات المعقدة تبقى على تعاونهن أو تواطئهن كما تسميه بعض النسويات -نشطاً- وحسب جيردا ليرنر:

«يؤمن هذا التعاون عبر جملة من الوسائل: التلقين الجندري، الحرمان من التعليم؛ إبعاد النساء عن المعرفة بتاريخهن؛ تقسيم النساء وإبعادهن عن بعضهن البعض بتعريف "الاحترام" و"الانحراف" طبقاً لأنشطتهن الجنسية؛ بالتقييد والإكراه الصريح؛ بالتميز في النفاذ إلى الموارد الاقتصادية والسلطة السياسية؛ وبمنح مزايا طبقية للنساء المتكيفات مع النظام... وهذا شكل من الأبوية

أفضل ما يوصف به هو الهيمنة الأبوية.

لقد شاركت النساء دائماً في المزايا الطبقية لرجال طبقتهن. طالما كن تحت "حماية رجل". لقد سار "الاتفاق المتبادل" بالنسبة للنساء -من غير نساء الطبقات الدنيا كالتالي: يمكنكن مقابل خضوعكن الجنسي والاقتصادي والسياسي والفكري للرجال أن تشاركن في نفوذ رجال طبقتهن لاستغلال رجال ونساء الطبقات الأدنى (٩)».

وللحفاظ على امتيازاتهن تعيد النساء باستمرار التفاوض حول قدرتهن على المساومة. وأحياناً على حساب نساء أخريات. إن جاز التعبير. لكن من المهم أن ننظر في النظام ككل ونحلل الأسباب الكامنة وراء ذلك. فالحقيقة أن النساء يعاملن أولادهن بشكل أفضل. ويحرمن بناتهن من التعليم. ويقيدن حريتهن ويسان معاملة زوجات أولادهن إلخ. وعلينا تحليل كل ذلك في سياق سلطة وموقع الرجال والنساء في الأسرة وفي المجتمع. وقد شرحت إحدى النساء الرقيات هذا بوضوح. تقول "الرجال في أسرنا مثل الشمس. يضيئون من ذاتهم (يملكون الموارد والدخل، يتحركون ويملكون حرية اتخاذ القرار إلخ...). والنساء مثل الأقمار لا يضيئن. ينرن فقط عندما يصلهن نور الشمس وهذا ما يفسر لماذا تضطر النساء للصراع مع بعضهن باستمرار لينلن قسطاً أكبر من ضوء الشمس. لأنه لا حياة بدون هذا الضوء».

س: هل يستفيد كل الرجال. بوصفهم رجالاً، من الأبوية؟

ج: الإجابة نعم ولا. نعم لأن الرجال، أرادوا أو لم يريدوا. يتمتعون بامتيازات معينة لكونهم رجالاً. فحتى رجال الطبقة العاملة، الذين هم بلا حول أمام رجال البرجوازية، لهم سلطة على نسايتهم. ففي الكثير من المجتمعات يتمتع الرجال بحرية حركة أكبر. وبالنفاذ إلى الموارد وحتى إلى احتياجات أساسية

مثل الغذاء والصحة لكونهم رجالاً. وبعبارة أخرى تميز الممارسات الاجتماعية والدينية والقانونية والثقافية. كما طرحنا آنفاً. الرجال كرجال وتمنحهم حقوقاً أكثر في كل المجالات من الناحية العملية.

لكن من وجه آخر يتضرر الرجال أيضاً من الأبوية فهم يحشرون. مثلهم مثل النساء في القوالب ويجبرون على لعب أدوار معينة: ويتوقع منهم أن يتصرفوا بشكل معين سواء رغبوا في ذلك أم لا. وهم يجبرون على الوفاء بواجبات اجتماعية وواجبات أخرى تتطلب منهم التصرف بشكل معين ويتعرض الرجال المهذبون وغير العدائين للمضايقة والسخرية لأنهم مخنثون. ومن يعاملون زوجاتهم على قدم المساواة "تركبهم زوجاتهم". وأنا أعرف رجلاً تعرض للسخرية لأنه كان يتدرب على رقص الكاثاك وكان مفتوناً بالحيافة والتطريز. وكلها أنشطة أنثوية لا تناسب الرجل "الحقيقي".

والرجال أيضاً محرومون من الخيارات الحقيقية. فليس لديهم خيار الخروج عن التيار الرئيسي والتخلي عن دور القوامة والحماية. وترتفع الحواجز دهشة وعدم تصديق إذا قال رجل شاب متعلم أنه "لا يعمل" وإنما يرعى المنزل. فيقال له إن "مثل هذه الإجابات تناسب النساء لا الرجال".

لكن هذا التجريد من الإنسانية لا يقارن أو يساوي بإخضاع النساء لسببين مهمين لا يتعرض الرجال ككل لهذه التجربة. ومن ناحية أخرى لا يتعرضون للتمييز أو التجريد من الأهلية بسببها.

س: ماذا عن المجتمعات أو الجماعات الأمومية مثل النير في كيرالا؟

ج: في الواقع لا يوجد أي دليل تاريخي على وجود الأمومية في أي مكان. ففي بعض الأحيان يخلط الناس بين النظم

الأخوالية Matrilineal or Matnilocal والأمومية Matriarchy. والنظام القائم في كيرالا هو نظام أخوالي. ومن المهم التمييز بين هذين النظامين. ففي النظام الأمومي يتم تتبع القرابة من خلال الأم. أي تنتقل الملكية من الأمهات إلى البنات. وقد تكون هذه المجتمعات أخوالية أيضاً بمعنى أن الزوج يأتي للعيش مع الزوجة التي تستمر في العيش في منزلها الخاص. وعلى الرغم من أن وضع المرأة في المجتمعات والأخوالية أفضل كثيراً. لكن تظل هذه المجتمعات مجتمعات غير أمومية. ففي المجتمع الأمومي تكون المرأة في وضع المهيمن وتسيطر على سلطة الدولة والمؤسسات الدينية والإنتاج الاقتصادي والتجارة إلخ. وحتى في المجتمعات الأمومية فالسيطرة الحقيقية في يد الأخوة والأعمام. لكن لا شك في حقيقة أن وضع النساء في هذه النظم أفضل من أي نظام آخر.

لقد تعرض النظام الذي قام بين جماعة النير في كيرالا وفي شمال شرق الهند للإضعاف والتلاشي تحت ضغط الأيدولوجيا الأبوية والنظم القانونية التي حلت محل العرف وتنوع الجماعة المحلية وأمام انتشار "الحداثة" التي تتطلب التماثل. لكن وجود هذه النظم يبرهن أنه يمكن أن تكون هناك أشكال مختلفة من التعليم العائلي والميراث والإقامة والعمل إلخ. لا شيء ثابت أو غير قابل للتغير في أي نظام. فهذه النظم يصنعها الإنسان وليست قضاء وقدرًا.

س: ومع ذلك يبدو أنك تقولين ضمناً أن الأبوية قد أصبحت أكثر قوة. لنقل. في المائة سنة المنصرمة أو نحوها. أليس كذلك؟

ج: ليس من السهل الرد بإجابة قاطعة على هذا السؤال. فهذه مسألة معقدة ولا يمكن التعميم بشأن كل المجتمعات والجماعات. فقد حصلت النساء بالتأكيد على حقوق أكثر

ببعض السبل (الحق في التصويت وفي الميراث على سبيل المثال) والمزيد من الفرص (في التعليم والتدريب والوظائف والسفر). وبعض المشاركة في صنع القرار السياسي. كما أن هناك وعياً متزايداً بقمع النساء وبالحاجة إلى التصدي لهذا القمع بشكل منهجي. وقد نظمت النساء أنفسهن من أجل التغيير. لكن هناك يبدو أن هناك سبباً أخرى أصبحت النساء من خلالها في وضع أسوأ إذ تصاعدت حالات العنف ضدهن إلى حد كبير. ووصل تشيبي النساء على يد الإعلام والاستخدام التجاري لنشاطيتهن الجنسية إلى مستويات تنذر بالخطر. ففي الهند أصبحت عادة المهر تمارس في مجتمعات لم تكن تعرفها. وفي المجتمعات التي لم تكن تعرف وأد الطفلات أصبحت الفتيات تقتلن. ويبدو أن مشروع التنمية والتحديث نفسه -الذي تراه بعض النسويات مشروعاً أبوياً سواء كان شيوعياً أو اشتراكياً أو رأسمالياً- يعمل ضد النساء ويزيد من تهميشهن.

في الزراعة حصل الرجال تعليماً فنياً ومهارات أكبر. ونفاذاً إلى الائتمان والأسواق. وعضوية التعاونيات. فاكتمسبوا. من ثم، سيطرة أكبر على صنع القرار والموارد. وتستمر النساء بدورهن في حمل عبء رئيسي في العمل الزراعي لكن بسلطة أقل في صنع القرار أو في السيطرة على الموارد. وقد غيرت عولة التجارة والتراكم الدولي لرأس المال دور النساء في قوة العمل ومرة أخرى لغير صالحهن.

تشير سلفيا والبي وهي تفحص تغيرات النظام الأبوي في بريطانيا إلى سمات معينة يبدو أنها تنطبق على أماكن أخرى من العالم كذلك. تقول سلفيا:

«هناك تغيرات في درجة وشكل الأبوية في بريطانيا. فقد شهدت بريطانيا تحولاً من شكل خاص من الأبوية إلى شكل عام private to public عبر القرن الماضي. وتقوم الأبوية الخاصة على الإنتاج المنزلي بوصفه الموقع الرئيسي لقهر

النساء وتقوم الأبوية العامة أساساً في المواقع العامة مثل التوظيف والدولة. ولم تكف العائلة عن كونها بنية أبوية ترتدي شكلاً عاماً. لكنها لم تعد الموقع الرئيسي. ويقع استغلال عمل المرأة في الأبوية الخاصة على يد الآباء الأفراد. لكنه في الأبوية العامة جماعي».

وتقول سلفيا فيما يتعلق بالإجابة على سؤال ما إذا كان هناك تقدم أو تأخر في وضع النساء أن «الأبوية ليست ثابتاً تاريخياً. فقد جرى تفسير التعديلات في العلاقات الجندرية عبر القرن الماضي أو نحوه بوصفها تقدماً أو تأخراً أو لا تحمل تغييراً كلياً. فالليبراليون يرون هذه التغييرات بوصفها تقدماً. ويراها الماركسيون تأخراً أعقبه جمد الأوضاع. وترى النسويات الرديكاليات ألا تغييراً كبيراً قد حدث» (١٠).

بعض الشروح



س: الآن وقد توصلنا إلى بعض الوضوح بشأن الأبوية كنظام، فالسؤال التالي الذي يبرز هو حول أصولها. هل كانت الأبوية موجودة دائماً؟

ج: بعض الناس يؤمنون بأن الرجال قد ولدوا ليهيمنوا وأن النساء ولدن ليخضعن. وهم يؤمنون أن هذا الترتيب كان موجوداً دائماً وأنه سيستمر وأن هذا الترتيب، مثل قوانين الطبيعة الأخرى، لا يمكن تغييره. وهناك آخرون يرفضون هذه الآراء ويقولون إن الأبوية ليست طبيعية وأنها من صنع الإنسان. ومن ثم يمكن تغييرها. والأبوية لم تكن موجودة دائماً فقد كانت لها بداية وبالتالي يمكن أن تكون لها نهاية. وفي الواقع فقد ظل هذا السجال مستعراً طوال مائة سنة بين من يؤمنون بأن الأبوية طبيعية وعالمية وبين من يقولون إنها ليست كذلك. وسنطرح هنا النظريات الأساسية التي طرحتها النسويات فيما يتعلق بوجود وأصل الأبوية. وأشجع القراء على الرجوع إلى قراءات أخرى للمزيد من الفهم.

النظرة التقليدية للأبوية

يقبل أصحاب النظرة التقليدية في كل مكان بالأبوية باعتبارها شيئاً تحده البيولوجيا. وحسب جيردا ليرنر "فقد اعتبر التقليديون. سواء كانوا يتحركون في إطار ديني أو "علمي". خضوع النساء شئ عالمي. وهبنا إياه الإله. أو طبيعي. ومن ثم لا يتغير.. ما بقى بقى لأنه الأفضل. وعليه يجب أن يستمر كما هو" (١١).

وتلخص ليرنر وجهة النظر التقليدية كالتالي: قد تطرح الحجة بلغة دينية تكون النساء طبقاً لها خاضعات للرجال لأنهن خلقن هكذا وأسندت لهن تبعاً لذلك أدوار ومهام مختلفة. وتشترك كل المجتمعات في تقسيم العمل الذي يقوم على الاختلافات البيولوجية بين الجنسين: لأن وظائف الجنسين البيولوجية مختلفة. لذلك "طبيعي" أن تكون لهما مهام وأدوار اجتماعية مختلفة. ولأن هذه الاختلافات طبيعية لا يمكن لوم أي أحد على اللامساواة بين الجنسين وعلى هيمنة الذكور. وطبقاً للحجج التقليدية، فالهدف الأساسي للنساء في الحياة -لأنهن ينجبن الأطفال- أن يصبحن أمهات. ومهمتهن الرئيسية هي الحمل وتنشئة الأطفال.

النتيجة الطبيعية لهذه الحجة هي أن يصبح الرجال. لكونهم يملكون قوة بدنية أكبر. صيادين. -وبالتبعية محاربين- في حين تحتاج النساء حماية الرجال لأنهن ينجبن الأطفال ولأنهن مشغولات بالتنشئة والأمومة. وتقول سلفيا أن هذه الحتمية البيولوجية تسير بلا انقطاع من العصر الحجري إلى يومنا هذا وهي تؤمن أن الرجل ولد متفوقاً.

لقد دحضت التفسيرات التي تعتبر الرجال متفوقين بيولوجياً ومعيلى الأسرة الأساسيين بواسطة البحوث التي أجريت حول مجتمعات الصيد ومجتمعات الجمع والالتقاط. ففي كل هذه المجتمعات كان الصيد الكبير يوفر الغذاء لبعض

الوقت. أما إمدادات الغذاء الرئيسية والمنتظمة فقد كانت تأتي من أنشطة الجمع التي تقوم بها النساء والأطفال. وعلاوة على ذلك فهناك أدلة في مجتمعات الصيد والجمع حول وجود تكامل كبير بين الرجل والنساء. وفي بعض المجتمعات القبلية ما تزال النساء تحزن قدراً كبيراً من الاحترام. كما نجد أن الاختلافات في وضع الرجال والنساء أقل إيذاءً للنساء.

ومن ناحية أخرى، إذا كان تفوق الذكور وتقسيم العمل القائم على الجنس "طبيعياً" لما وجدنا هذه الاختلافات الشاسعة في طرق تحديد أدوار الرجال والنساء في مختلف المجتمعات. وهناك الكثير من المجتمعات التقليدية أو البدائية لم تؤد الاختلافات البيولوجية فيها إلى الكثير من التراتبية في الوضع والنفوذ بين الرجال والنساء فيها.

لكن وجهات النظر التقليدية هذه ليست حكرًا على الأبدلوجيا الدينية فقد رُوّجت "النظريات" العلمية الزائفة لإثبات تفوق الرجال ودونية النساء. وتجادل العديد من هذه النظريات بأن النساء عاجزات. ومن ثم مجردات من الأهلية لأنهن يحملن ويحضن.

لقد اقترح أرسطو "نظريات" مشابهة وسمى الذكور نشطين والنساء خاملات. وبالنسبة لأرسطو فالأنثى "ذكر مشوه" شخص لا روح له. ومن وجهة نظر أرسطو فدونية المرأة البيولوجية تجعلها أدنى في جداراتها وقدرتها على التفسير العقلاني. ومن ثم قدرتها على صنع القرارات. ولأن الرجل متفوق والمرأة أدنى فقد خلق الرجل من أجل الحكم وخلقت المرأة لتحكم. قال أرسطو "شجاعة الرجل في إصدار الأوامر وشجاعة المرأة في طاعتها".

أشارت العديد من النسويات إلى أن علم النفس المعاصر قد رسخ آراء مشابهة. فهو يزعم أن بيولوجيا النساء تحدد سيكولوجيتهن؛ ومن ثم قدراتهن وأدوارهن. وقد قال سيجموند

فرويد أن "التشريح" بالنسبة للنساء "هو قدرهن". والإنسان العادي عند فرويد رجل. أما المرأة فهي كائن بشري منحرف ينقصه العضو الذكوري وتقوم كل بنيتها النفسية على الصراع من أجل تعويض هذا النقص. ومن ثم قد أصبح المبدأ الفرويدي الشعبي هو الوصفة الموجهة للمربين والإخصائيين الاجتماعيين والجمهور العام.

لقد رفض العديد من الناس كل هذه النظريات القائلة بتفوق الذكر. وقد أثبتوا أنه ليس هناك برهان علمي أو تاريخي لمثل هذه التفسيرات. فقد ابتعد البشر عن الطبيعة، وتغيروا. ولم تعد البيولوجيا هي قدرهم. حقاً هناك اختلافات بيولوجية بين الرجال والنساء قد تقود إلى بعض الاختلافات في أدوارهن. لكن لا يجب أن تصبح هذه الاختلافات أساساً لتراتب يقوم على أساس الجنس ويهيمن عليه الرجال. إن دحض هذه النظريات يساعدنا على الاعتراف بأن الأبوية من صنع الإنسان؛ وأن عمليات تاريخية قد خلقتها.

س: أي نظريات ترفض عالمية خضوع النساء وتستكشف جذور الأبوية؟

ج: لقد كان الرجال والنساء يحاولون طوال ما يربو على مائة عام فهم جذور الأبوية متى ولماذا بدأت؟ وطرحوا أسئلة من قبيل هل كانت هناك أمومية قبل الأبوية سيطرت فيها النساء على الرجال أم كانت هناك مساواة بين الجنسين؟ كيف أسندت أدوار مختلفة إلى الرجال والنساء؟ ومتى بدأ الإخضاع؟ من المهم طرح هذه الأسئلة والإجابة عليها. ليس لإشباع فضولنا حول ماضينا فحسب، بل لأن فهم جذور الأبوية ضروري من أجل تحديها وتصور مجتمع بدون تراتب يقوم على أساس الجنس. ويجب أن تقوم استراتيجيات التغيير على بعض الفهم النظري لما يحتاجه التغيير وليس هناك تفسير واحد لجذور

الأبوية مقبول من كل الناس. وسنقدم فيما يلي فقط بعض النظريات الأساسية وبايجاز.

١- تفسير إجلز لأصل الأبوية

قدم فريدريك إجلز في كتابه "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة". الصادر في ١٨٨٤ تفسيراً مهماً لأصل الأبوية. يعتقد إجلز أن إخضاع النساء بدأ مع تطور الملكية الخاصة عندما وقعت الهزيمة العالمية التاريخية لجنس النساء" حسب إجلز. ويقول إن انقسام الطبقات وخضوع النساء قد تطور تاريخياً وكان هناك وقت لم تكن فيه اختلافات طبقة- جندر قائمة. ويتحدث إجلز عن ثلاث مراحل للمجتمع هي الهمجية والبربرية والحضارة. وفي زمن الهمجية عاش البشر كالحوانات فجمعوا الغذاء وصادوا وكان النسب عن طريق الأم. لم يكن هناك زواج ولا فكرة الملكية الخاصة.

استمر الصيد والجمع خلال فترة البربرية وتطورت الزراعة وتربية الحيوانات تدريجياً. وبدأ الرجال يذهبون أبعد من أجل الصيد. وبقيت النساء في المنزل من أجل رعاية الأطفال ورعاية المنزل. وتطور تدريجياً تقسيم للعمل يقوم على أساس الجنس. لكن كانت للنساء سطوة وسيطرة على العشائر والبطون. وداخل العشائر لم تكن هناك طبقات ولكن كانت هناك صراعات بين عشيرة وأخرى.

وعندما بدأ الرجال استئناس الحيوانات، فهموا مبدأ التلقيح. وطوروا أسلحة من أجل الصيد الأكبر حجماً استخدمت أيضاً في الصراع بين المجموعات. ظهر الرق. وبدأت العشائر تملك الحيوانات والعبيد. خاصة الإناث. وقد قاد هذا إلى المزيد من الانقسام بين الجنسين فاكتسب الرجال سلطة فوق الآخرين وبدعوا براكمون الثروة في شكل حيوانات وعبيد. وقاد كل ذلك إلى تشكل الملكية الخاصة وأراد الرجال الاحتفاظ بالسلطة

والملكية ونقلها إلى أولادهم. ولضمان هذه الوراثة تم التخلص من حق الأم. ولكي يتأسس حق الأب كان لابد من ترويض النساء وتقييدهن وتنظيم نشاطيتهن الجنسية والسيطرة عليها. وطبقاً لإجلز في تلك الفترة وتلك الأسباب أسست الأبوية والزواج الأحادي بالنسبة للنساء.

ولأن الفائض أصبح ينتج الآن في مجالات يسيطر عليها الرجال. أصبحت النساء تابعات اقتصادياً. وطبقاً لإجلز تأسست الحضارة الحديثة على تقييد النساء في حدود مجال المنزل لإجباث الوراثة لورثة الممتلكات. وكانت هذه. كما يقول إجلز. بداية ازدواج المعايير في الزواج بالنسبة للجنسين. وطبقاً لإجلز تحول الزواج الأحادي مع ظهور الدولة إلى أسرة أبوية أصبح فيها عمل الزوجة "خدمة خاصة. فأصبحت الزوجة رئيسة للخدم واستبعدت من كل مشاركة في الإنتاج الاجتماعي".

"كانت الإطاحة بحق الأم هي الهزيمة التاريخية العالمية لجنس النساء. فسيطر الرجل على مقاليد الأمور في المنزل أيضاً. وانحطت المرأة واختزلت إلى مستوى العبودية وأصبحت عبدة رغبات الرجل الجنسية ومجرد أداة لإجباث الأطفال".

ميّز إجلز بين المرأة البرجوازية ونساء الطبقة العاملة. فالمرأة البرجوازية طبقاً لتحليل إجلز لا تعمل خارج الأسرة. تعتمد كلياً على زوجها. وهي ذاتها من ضمن ملكياته. وظيفتها الوحيدة هي إنتاج الوراثة. أما امرأة الطبقة العاملة فقد خرجت سلفاً على قهرها بخروجها للإنتاج. وليس هناك من أساس مادي لقهر النساء بين الطبقات العاملة. وهنا انمحي أساس الهيمنة الذكورية. وإذا كانت هناك بقايا من قمع النساء فهي من آثار الماضي وستختفي حال اندلاع الثورة. وطبقاً لإجلز على نساء الطبقة العاملة النضال مع رجالهن من أجل الإطاحة بالملكية الخاصة.

لقد فسّر إجلز والماركسيون الآخرون خضوع النساء من الناحية الاقتصادية وحدها. وقد جادلوا بأنه عندما تلغى الملكية الخاصة وتنضم النساء إلى قوة العمل ستختفي الأبوية. والتناقض الرئيسي عند الماركسيين ليس بين الجنسين. وإنما بين الطبقات. والاستراتيجية التي يقترحونها لتحرير النساء هي انضمامهن إلى قوة العمل وإلى رجالهن في النضال الطبقي. طور رجال آخرون ونسويات ماركسيات أطروحة إجلز قديماً. فالنسويات الماركسيات يقبلن بأولوية التناقض الطبقي ويمضين قديماً بهذه الحجة ضمن الإطار الماركسي. وقد انتقدت العديد من النسويات تفسيرات إجلز. كما كشفت البحوث الأنثروبولوجية الحديثة الدور المهم الذي لعبته النساء في تطوير الزراعة والإنتاج المعيشي مما يطرح أسئلة جدية بشأن نموذج "الرجل الصياد" الذي وضعه إجلز.

كذلك تعتقد النسويات أن تشديد إجلز على العوامل الاقتصادية لا يقدم تفسيراً كافياً لخضوع النساء ويختلفن مع حجته القائلة أنه لا يوجد أساس مادي لإخضاع النساء في أسر الطبقة العاملة. وعلى الرغم من ذلك تكتب جيردا ليرنر في تقييم مساهمة إجلز في فهم الأبوية:

ومع ذلك فقد قدم إجلز إسهامات كبرى عمقت فهمنا لوضع النساء في المجتمع وفي التاريخ إذ:

١ - أشار إلى الصلة بين التغيرات البنيوية في العلاقات القرابية والتغيرات في تقسيم العمل من ناحية ووضع النساء من الناحية الأخرى:

٢ - كشف عن الصلة بين تأسيس الملكية الخاصة والزواج الأحادي والدعارة:

٣ - كشف عن الصلة بين هيمنة الرجال الاقتصادية والسياسية وبين سيطرتهم على النشاطية الجنسية للنساء:

٤ - بتحديد الهزيمة العالمية التاريخية لجنس النساء في فترة

قعودهن عن استكشاف الصلات بين النظام الطبقي الجنسي والنظام الطبقي الاقتصادي وبسبب معاملتهن النظامين بوصفهما مستقلين عن بعضيهما. ومع ذلك فقد قدمت هؤلاء النسويات إسهاما كبيرا في الفهم النظري للعنف والابوية وقدمن نظريات ثاقبة في طبيعة إخضاع النساء.

لقد كشفت النسوية الراديكالية واقعا مختلفا. كشفت لنا عن عالم يسيطر فيه الرجال على أجساد النساء ويجبرونهن على الأمومة أو العبودية الجنسية. وقد وصفت لنا الراديكالية النسوية كم يتواتر حدوث ذلك. وأجلت لنا نظاما متشابكا من مؤسسات السيطرة الذكورية التي توقع النساء في حبالها ولا تترك لهن سوى القليل من منافذ الهروب. كما استكشفت التشويه النفسي للنساء حبيسات هذه المؤسسات. وما لم تفعله النسوية الراديكالية حتى الآن هو تقديم تفسير للأسباب التحتية للنظام الأبوي. لماذا بني الرجال هذه المؤسسات ولماذا حافظوا عليها (١٨).

٣ - موقف النسوية الاشتراكية

تقبل النسويات الاشتراكيات المبادئ الأساسية للماركسية لكنهن حاولن إثراء الماركسية من خلال العمل على المجالات التي يعتقدن أن النظرية الماركسية التقليدية قد تجاهلتها. وهن يحاولن الجمع بين الموقفين الماركسي والنسوي الراديكالي لأنهن يعتقدن أن لدى كلتا المدرستين ما تسهم به. لكن كليهما ليست وافية في ذاتها.

وهن لا يعتبرن الأبوية نظاما عالميا أو نظاما لا يتغير بسبب التزامهن منهجا ماديا تاريخيا. وبسبب ملاحظتهن للتنوع في تقسيم العمل القائم على الجنس. وتصور النسويات الاشتراكيات الصراع بين الرجال والنساء بوصفه صراعا يتغير تاريخيا مع التغيرات في أنماط الإنتاج (١٩).

وهن يتعاملن مع النظام الطبقي الاقتصادي والنظام الطبقي القائم على الجنس بوصفهما متناقضين اثنين في المجتمع ويحاولن رؤية العلاقة بينهما. وطبقا لهؤلاء النسويات فالأبوية ترتبط بالنظام الاقتصادي. وعلاقات الإنتاج. لكن هذا الارتباط ليس ارتباطا سببيا. وهناك العديد من القوى التي تؤثر على الأبوية منها الايدولوجيا. على سبيل المثال. التي لعبت دورا مهما في تعزيز الأبوية. وتعتقد بعض النسويات الاشتراكيات أن الأبوية سبقت الملكية الخاصة. حيث جعل استغلال النساء الأبوية ممكنة وهن يعتقدن أنه بما أن الأبوية ليست نتاجا للملكية الخاصة وحدها. فهي لن تختفي مع إلغاء الملكية الخاصة. وهن ينظرن في تحليلهن إلى علاقات الإنتاج وعلاقات إعادة الإنتاج (الإجاب). وطبقا للنسويات الاشتراكيات فإن مجال إعادة الإنتاج والعمل المنزلي قد تم تجاهله أو لم يطور بما يكفي على يد الباحثين الماركسيين. ومن ثم فقد وجهن عنايتهن لهذه المجالات.

ولا تتجنب النسويات الاشتراكيات لغة التناقض "الرئيسي". فحسب. بل هن عمومًا متشككات بشأن محاولات تأكيد أن الطبقة أو الجندر ذات علاقة سببية أساسية إحداها بالأخرى. وهن يرين أن نظم القهر مرتبطة ببعضها البعض بشكل لا فكاك منه (٢١).

س: هل يمكن لنا أن نناقش بعض المدارس الفكرية المختلفة وسط النسويات الاشتراكية؟

ج: هناك بعض الاختلافات في محور التركيز وكذلك في استخدام المفاهيم. تقول زيللا ايزنشتاين. وهي باحثة نسوية اشتراكية. أن أول المشاغل هو "صياغة مشكلة المرأة بوصفها أما وبوصفها عاملة. بوصفها منجبة وبوصفها منتجة". وهي جادل بأن تفوق الذكر والرأسمالية هما العلاقتان الرئيسيتان

اللتان تحددان قمع النساء. وهي تصور المجتمع بوصفه يحتوي من ناحية على عملية العمل الرأسمالية التي يحدث فيها الاستغلال. ويحتوي من ناحية أخرى على التراتبية الأبوية الجنسية. التي تكون فيها المرأة أما وعاملة منزلية ومستهلكة والتي يحدث من خلالها قمع النساء (٢١). وطبقاً لزيللا فالأبوية ليست نتاجاً مباشراً للاختلاف البيولوجي. فهي تنتج عن التفسيرات الأيديولوجية والسياسية لهذا الاختلاف. وهذا ما نعنيه بالعلاقات الاجتماعية لإعادة الإنتاج (الإجباب) أو النظام الجنسي- الجندري.

بالنسبة لزيللا ايزنشتاين فإن علاقات الإجباب ليست علاقات رأسمالية. وإنما علاقات ثقافية تنتقل من مرحلة تاريخية إلى أخرى. ففي حين قد يتغير التنظيم الاقتصادي للمجتمع. تقدم الأبوية. التي تقع ضمن العلاقات الاجتماعية للإجباب. نظاماً تراتبياً للتنظيم والضبط استخدم في مختلف أشكال التنظيم الاجتماعي ومن بينها الرأسمالية (٢٢).

تفضل إحدى المدارس النسوية الاشتراكية استخدام مفهوم إخضاع النساء أكثر من مفهوم الأبوية الذي يرفضه بوصفه مفهوماً لا تاريخياً. والأبوية بالنسبة لهذه المدرسة ليست ظاهرة شاملة: حيث وجدت أشكال مختلفة من العلاقات بين الرجال والنساء في التاريخ. وطبقاً لهذه المدرسة المهم ليس الجنس sex وإنما الجندر gender. فالجنس (ذكر وأنثى) مفهوم بيولوجي والجندر مفهوم اجتماعي. وهذه المجموعة معنية بما تسميه علاقات الجندر.

لقد حظيت هذه المدرسة الفكرية بالانتشار بين الباحثات النسويات ومؤخراً بين وكالات التنمية. رغم أن بعض النسويات يعتقدن أن مجرد استخدام مفاهيم مثل الجندر يساعد على صرف التركيز عن الأبوية بوصفها مفهوماً تحليلياً ونضالياً وهن يعتقدن أن المفهوم النضالي عن الأبوية ضروري من أجل توحيد

النظرية والممارسة.

وهناك نظرية الأبوية ورأس المال التي وضعتها. ضمن أخريات هايدي هارتمان. وتنظر هذه المدرسة في العلاقة بين الأبوية ورأس المال. وهي تجادل بأن الأبوية تربط بين كل الرجال بغض النظر عن طبقتهم. فعمل المرأة يفيد رأس المال وكذلك زوجها. وتعرف هايدي الأبوية بوصفها مجموعة من العلاقات لها أساس مادي وتقع داخلها علاقات تراتبية بين الرجال وتضامناً بينهم يمكنهم بدوره من الهيمنة على النساء. والأساس المادي للأبوية هو سيطرة الرجال على قوة عمل المرأة. تقول هايدي:

علينا كاشتراكيات نسويات تنظيم ممارسة تتصدى للنضال ضد الأبوية وضد رأس المال في آن معاً. وعلينا أن نصر أن المجتمع الذي نود خلقه هو مجتمع يكون فيه الاعتراف بالاعتماد المتبادل حقراً وليس عاراً. مجتمع تكون فيه التنشئة شاملة وليست ممارسة قمعية. مجتمع لا تستمر النساء فيه في دعم حريات الرجال الزائفة والملموسة (٢٣).

وجهة نظر نسوية اشتراكية أخرى قدمتها ماريا مايس في ورقتها المعنونة "الأصول الاجتماعية لتقسيم العمل القائم على أساس الجنس" (٢٤). وتطرح ماريا بعض الأفكار فيما يتعلق بالأسباب المحتملة وتواتر التطورات التاريخية التي أدت إلى أصل التراتب الجندري أو الأبوية. وتقول ماريا في هذه الورقة أياً كانت الاختلافات الأيديولوجية بين مختلف المجموعات النسوية فهذه المجموعات موحدة في تمرد لها ضد هذه العلاقة الأبوية بين الرجال والنساء التي لم تعد مقبولة بوصفها قدراً بيولوجياً. وبحث النسويات في الأصول الاجتماعية للمساواة واللامساواة هذا هو النتيجة الضرورية لتمردهن. تقول ماريا في معرض التأكيد على العلاقة الوثيقة بين الفعل والنظرية النسوية:

«لا يمكن أن تقنع النساء الملتزمات بالنضال ضد قهرهن واستغلالهن لعصور بالاستخلاص اللامبالي الذي يطرحه

الكثير من الأكاديميين القائل أنه لا ينبغي طرح مسألة جذور الأبوية لأننا لا نعرف سوى القليل في هذا المجال. إن البحث عن الأصول الاجتماعية لهذه العلاقة هو جزء من الاستراتيجية السياسية لتحرير النساء فبدون فهم اشتغال العلاقة اللامتماثلة بين الرجال والنساء لا يمكن التغلب عليها»

تقول ماريا إنه كانت هناك خييزات بيولوجية في التفسيرات المبكرة للتراتب القائم على الجنس وإننا نحتاج إلى فهم هذه التفسيرات ودحضها.

ربما تكون تلك الحتمية البيولوجية الصريحة أو الخفية، أو التشريح بوصفه قدراً، بلغة فرويد، هي العقبة الأكثر رسوخاً أمام تحليل أسباب قهر النساء واستغلالهن. وعلى الرغم من أن النساء اللاتي ناضلن من أجل تحررهن رفضن الحتمية البيولوجية، فقد وجدن صعوبة في البرهنة على أن العلاقة غير المتكافئة والتراتبية والاستغلالية بين الرجال والنساء تعود إلى عوامل اجتماعية، أي تاريخية، وإحدى مشكلاتنا الرئيسية أن ليس التحليل وحده، وإنما أدوات التحليل أيضاً، أي المفاهيم والتعريفات الأساسية قد تأثرت -أو بالأحرى أصيبت- بداء الحتمية البيولوجية.

لا تطرح ماريا سؤال متى ظهر تقسيم العمل بين الرجال والنساء، بل كيف أصبح تقسيم العمل هذا علاقة من السيطرة والاستغلال، ولماذا أصبحت هذه العلاقة غير متماثلة وتراتبية؟ وتفتتح ماريا مايس "علينا ألا ننظر بعد الآن إلى تقسيم العمل القائم على الجنس بوصفه مشكلة ترتبط بالأسرة، بل بوصفه مشكلة بنيوية للمجتمع ككل. فالتقسيم التراتبي للعمل بين الرجال والنساء ودينامياته يشكل جزءاً لا يتجزأ من علاقات الإنتاج السائدة، أي العلاقة الطبقية لعصر ومجتمع بعينه والتقسيمات الوطنية والدولية الأوسع للعمل".

وتؤمن ماريا مايس أننا إذا أردنا أن نعثر على مفهوم مادي للنساء والرجال وتاريخهم علينا أولاً أن نحلل تفاعل كل منهما مع الطبيعة وكيف بنوا، في هذه العملية، طبيعتهم الإنسانية والاجتماعية. وهي تختلف مع إنجلز وتقول "لو سرنا على خطى إنجلز، لاختزلنا تفاعل النساء مع الطبيعة إلى مجال التطور (وفي الواقع هذا ما يفعله الموظفون والسلوكيون على امتداد العالم) ولانتهينا إلى أن النساء لم يدخلن التاريخ بعد (التاريخ كما يعرفه الرجال) وأنهن ما زلن ينتمين إلى عالم الحيوان. والتاريخ عند إنجلز يبدأ مع الحضارة، أي استغلال النساء على يد الرجال والرجال على يد الرجال". وحسب مايس

... فالذكورة والأنوثة ليسا معطيين بيولوجيين، وإنما بالأحرى نتائج لعملية تاريخية طويلة. ففي كل عصر تاريخي عُرِّفت الذكورة والأنوثة بشكل مختلف، ويعتمد التعريف على نمط الإنتاج الرئيسي في تلك العصور. وهذا يعني أن الاختلافات العضوية بين الرجال والنساء تفسر وتقيم بشكل مختلف طبقاً للشكل السائد لاستغلال الطبيعة من أجل إشباع الحاجات الإنسانية ومن ثم بطور الرجال والنساء علاقة مختلفة نوعياً بأجسادهم. وهكذا فسرت الأنوثة في المجتمعات الأمومية بوصفها البراديفم الاجتماعي لكل الإنتاج. المبدأ الرئيسي النشاط في إنتاج الحياة. وعرفت كل النساء بوصفهن "أمهات"، لكن "أمهات" كان لها معنى مختلف حينذاك. ففي النظام الرأسمالي تعرف كل النساء بوصفهن زوجات (وكل الرجال بوصفهم معيلين) وأصبحت الأمومة جزءاً لا يتجزأ من أعراض الزوجية housewife-syndrome والفرق بين التعريف الأمومي المبكر للأنوثة والتعريف الحديث هو أن التعريف الحديث قد أفرغ التعريف من كل خصائصه النشطة، المبدعة، والمنتجة (أي الإنسانية).

وتمضي ماريا مايس لتقول إنه بسبب ارتباط إنتاج النساء لحياة جديدة بإنتاج وسائل العيش لهذه الحياة على نحو لافكاك منه، فإن استغلال طبيعتهن الجسدية، أي حقيقة أنهن ينجبن الأطفال وينتجن اللبن تجعلهن موفرات مواد الغذاء اليومي الأول. سواء بوصفهن جامعات أو مزارعات. وعلاوة على ذلك تقول ماريا مايس إن علاقة الرجل الموضوعية بالطبيعة مختلفة نوعياً. لأن الرجال ليس بوسعهم المرور بتجربة أن تكون أجسادهم منتجة بالشكل الذي تستطيعه النساء. وتشير إلى أن إدراك الرجل لذاته كإنسان، أي كونه منتجاً يرتبط بشكل وثيق باختراع الأدوات والسيطرة عليها. "الرجل ليس رجلاً بدون أدوات".

إذن فإن إنتاجية الأنثى هي شرط مسبق لإنتاجية الذكر. ويتمثل البعد المادي في حقيقة أن النساء في كل الأزمنة هن من ينتج نساء ورجالاً جددًا، وبدون هذا الإنتاج تفقد كل أشكال وأنماط الإنتاج الأخرى معناها.

إذا كانت النساء، طبقاً لمايس هن أول منتجات الحياة. والإنتاج الاجتماعي. وأول أدوات الإنتاج. وإذا كن أيضاً أول من أنشأ العلاقات الاجتماعية، لماذا إذن عجزن عن منع إقامة علاقات تراتبية واستغلالية بين الجنسين؟ تجيب مايس عن هذا السؤال قائلة إن تفوق الرجال، الأبعد عن كونه نتاجاً لإسهام الرجال الاقتصادي المتفوق. كان نتيجة لتطوير والسيطرة على أدوات تدميرية سيطروا بواسطتها على النساء والطبيعة والرجال الآخرين. وطبقاً لمايس اخترعت النساء أدوات إنتاج. في حين اخترع الرجال أقواساً وسهاماً. أي أدوات تدمير. وتقول إن دلالة الصيد لا تكمن في إنتاجيته الاقتصادية، وإنما في العلاقة الموضوعية المحددة التي يشكلها مع الطبيعة.

وتشير مايس إلى أن المسئول عن تشكيل علاقة سيطرة استغلالية بين الرجل والطبيعة، بين الرجل والرجل. وبين الرجل والمرأة ليس هو تكنولوجيا الصيد في ذاتها. وتستخدم ماريا

الدراسات الحديثة حول مجتمعات الصيد لتوضح أن الصيادين لم تجمعهم علاقة عدوانية مع الحيوانات التي يصيدونها. فالأقزام على سبيل المثال بدوا أناساً مسالمين جداً لم يعرفوا الحرب ولا المشاجرات ولا السحر. كذلك لم تكن رحلات صيدهم عدوانية. وإنما صاحبته مشاعر التعاطف مع الحيوانات التي كان عليهم قتلها. وتقول إنه طالما اقتصر الصيادون على سباق صيدهم وجمعهم المحدود لم يعرفوا الإمكانية الاستغلالية لنمط إنتاجهم المفترس، فقد كان الرعاية هم أول من أسس علاقات أبوية بين الرجال والنساء.

احتكر الرجال السلاح وأصبحوا الآن يعرفون وظائفهم الإيجابية كذلك. وهذا ما قاد إلى تغيير علاقتهم بالطبيعة وإلى تغييرات في تقسيم العمل القائم على الجنس. "لم تكن النساء بالنسبة للرعاية البدو شديداً الأهمية كمنتجات أو جامعات للغذاء. مثلما كان الأمر مع الصيادين. كانوا يحتاجونهن كمغذيات للأطفال، خاصة الأولاد. لقد اختزلت إنتاجيتهن إلى "خصوبتهن" التي استغلها وسيطر عليها الرجال". ومن هنا تخلص ماريا إلى

... "عليه يصح على الأرجح القول بأن البدو الرعاية كانوا آباء كل أشكال علاقات السيطرة، خاصة العلاقات بين الرجال والنساء... وفي التحليل الأخير يمكننا أن نعزو تقسيم العمل غير المتماثل بين النساء والرجال إلى نموذج الإنتاج القائم على النهب، أو بالأحرى الاستغلال القائم على احتكار الرجال لوسائل الإكراه، أي السلاح وعلى العنف المباشر الذي خلقت بواسطته علاقات الاستغلال والسيطرة الدائمة بين الجنسين وتم الحفاظ عليها".

جادل ماريا مايس قديماً بأن تقسيم العمل اللا متماثل على أساس الجنس الذي تأسس عن طريق العنف، حافظت عليه مؤسسات مثل العائلة والدولة وكذلك بواسطة النظم

الأيدولوجية القوية. وفوق كل شئ الأديان الأبوية التي عرفت النساء بوصفهن جزءاً من الطبيعة يجب السيطرة والهيمنة عليه بواسطة الرجال.

وللتلخيص، نقول أن مختلف أشكال تقسيم العمل - اللامتماثل والتراتبى التي ظهرت عبر التاريخ حتى المرحلة التي تشكل فيها العالم الآن في نظام واحد لتقسيم العمل غير متكافئ تحت إملاءات التراكم الرأسمالي - تقوم على براديفم الصيد / المحارب النهاب القادر على استغلال وإخضاع المنتجين الآخرين وقوتهم الإنتاجية ومنتجاتهم عن طريق السلاح.

المفكرة النسوية الأخرى التي وجدت عملها مفيداً في فهم الأبوية هي جيردا ليرنر. وقد جادلت جيردا أساساً ضد نظريات القضية الواحدة وضد النظر في لحظة تاريخية واحدة هي لحظة تأسيس الأبوية. وقد جادلت ليرنر بأن المسئول عن توطيد تفوق الرجل كما نراه اليوم ليس حدثاً واحداً، بل عملية تطورت عبر حوالي ٢٥٠٠ سنة (من حوالي ٣١٠٠ ق.م حتى ٦٠٠ ق.م) إضافة إلى عدد من العوامل والقوى الأخرى (٢٥).

تبدأ جيردا ليرنر بالتشديد على أهمية تاريخ النساء في نضال النساء ضد الأبوية ومن أجل المساواة. وقد بدأت بحثها الخاص عن أصول الأبوية من الاقتناع بأن الأبوية كنظام هي تاريخية. لها بداية في التاريخ. وإذا كانت كذلك يمكن أن تنتهي بعملية تاريخية. وقد حاولت فهم العملية التاريخية التي توطدت بها الأبوية وتمأسست. وتطرح ليرنر الفرضيات التالية:

١ - يقع استغلال وتسليع القدرة الجنسية والإيجابية للنساء على يد الرجال في الأساس الذي نهضت عليه الملكية الخاصة. وفي الواقع فقد سبق هذا الاستغلال تشكل الملكية الخاصة والمجتمع الطبقي.

٢ - انتظمت الدول القديمة حول الأبوية وعلى صورتها. لذلك كانت للدولة منذ نشأتها مصلحة جوهرية في الحفاظ

.....

على الأسرة الأبوية.

٣ - كانت خبرة الرجال في السيطرة على نساء مجموعتهم هي ما مكنهم من تأسيس سيطرتهم على الآخرين. لذلك فهي تقول أن مأسسة الرق بدأت باسترقاق نساء المجموعات المهزومة.

٤ - قُتِ إخضاع النساء جنسياً من الناحية المؤسسية في القوانين المبكرة ونفذ بواسطة السلطة الكاملة للدولة. وقد ضمن تعاونهن في هذا النظام بسبل شتى: القوة. والتبعية الاقتصادية للذكر ورب الأسرة. والامتيازات الطبقة التي تمنح للنساء المذعنات والتابعات من نساء الطبقة العليا. والقسمة الزائفة للنساء بين نساء محترمات ونساء غير محترمات.

٥ - كانت الطبقة بالنسبة للرجال وما تزال تقوم على أساس علاقاتهم بوسائل الإنتاج. إذ يستطيع من يملكون وسائل الإنتاج أن يسودوا على من لا يملكون. وبالنسبة للنساء تتحدد الطبقة من خلال توسط علاقتهن الجنسية برجل يتيح لهن النفاذ إلى الموارد المادية.

٦ - وبعد زمن طويل من إخضاع النساء جنسياً واقتصادياً بواسطة الرجال. كن ما يزلن يلعبن أدواراً نشطة ومحترمة في التوسط بين البشر والآلهة كقسيسات وعرافات ومتنبئات بالغيب ومعالجات. وهذا يفسر عبادة الإلهات في الأزمنة القديمة.

٧ - حدثت الإطاحة بالإلهات القويات واستبدالهن بإله ذكر سائد في معظم مجتمعات الشرق الأدنى بعد تأسيس علاقات قرابية إمبراطورية قوية.

٨ - اتخذ ظهور التوحيد العبري شكلاً هجومياً على طوائف مختلف إلهات الخصوبة التي كانت تنتشر على نطاق واسع.

.....

٩ - أصبح الخط من قيمة المرأة فعلياً ورمزياً في علاقتها بالمقدس واحداً من المجازات المؤسسة للحضارة الغربية. والمجاز المؤسس الآخر قدمته فلسفة أرسطو التي تفترض أن النساء ناقصات وكائنات بشرية مشوهة تنتمي إلى نظام مختلف كلية عن الرجال. "ومع خلق هذين المجازين المتقابلين اللذين أصبحا جزءاً أصيلاً من أسس النظم الرمزية للحضارة الغربية، أصبح ينظر إلى إخضاع النساء بوصفه شيئاً طبيعياً ومن ثم أصبح خفياً. وهذا ما وطد الأبوية أخيراً بصرامة كواقع وكأيدولوجيا".

وفي الختام



عموماً يبدو أن أعداداً واسعة من المجموعات النسائية تقبل موقف النسوية الاشتراكية. القائل أن كلا من القهر الأبوي والطبقي على السواء مهمان. مرتبطان ببعضهما. وفي الكثير من الحالات يعزز أحدهما الآخر. وأن على النساء أن يتحدين نظام السيطرة الأبوية ونظام السيطرة الطبقية في آن معاً. لقد كانت النساء في منظماتهن في أنحاء مختلفة من العالم يتحدين الأبوية طوال العقود الثلاثة الماضية بسبل مختلفة. وقد كانت تحدياتهن محلية ومتفرقة وتلقائية ومدروسة. منظمة ومنسقة لها. من خلال تشكيلات نسائية مستقلة وبالتعاون مع حركات اجتماعية أخرى وأحزاب سياسية ونقابات عمالية. وبشكل ما تمثل صياغة النساء المفاهيمية للأبوية. ومحاولاتهن لتحليلها كنظام وتفكيكها تحدياً كبيراً. وقد حلت ترجمة هذا التحليل إلى عمل على مستويات عدة - أكاديمية وبين الناس العاديين. إقليمية ودولية

وفي المجتمع عموماً- محل قضية إخضاع النساء في معظم
جداول الأعمال الوطنية.

لقد جمعت خلال العقدین الماضیین أو أكثر نساء الطبقة
الوسطی والطبقة العاملة ونساء الريف والحضر معاً في
مجموعات صغيرة وكبيرة. في لقاءات رسمية وغير رسمية.
في معسكرات دراسية وفي ورش عمل لتعميق فهمهن الخاص
لقمع وهيمنة الذكور.

وبالإضافة إلى هذه المعارضة العامة للأبوية. تحدث النسوة
الأفراد والمنظمات النسوية مختلف تجليات الأيديولوجيا الأبوية
من خلال الإعلام والمؤتمرات والحلقات التدريبية والمشروعات
الفعالية على الأرض من أجل تمكين النساء. وقد حللن وعارضن
بأشكال عدة مختلف أشكال العنف الذي تتعرض له النساء.
ومارسن الضغط من أجل تغيير القوانين ومن أجل التطبيق
الأكثر صرامة للقوانين القائمة وخلق وحدات شرطة خاصة
للتعامل مع العنف ضد المرأة. وقد أنشأت النساء بيوتاً للنساء
من ضحايا العنف. ومجموعات دعم للنساء اللاتي يتعرضن
للكرب ومأوى ومنازل للإقامة القصيرة.

لقد تحدث النسوة الأفراد والمنظمات النسائية والباحثات
النسويات الافتراضات الأبوية والتحيزات على أساس الجنس في
النظم الصحية والتعليمية والقانونية في بلادهن. ونظمن
مختلف الحملات لجعل هذه النظم أكثر مساواة من ناحية
الجنس. وقد حللت المجموعات النسائية التحيز القائم على
أساس الجنس في الإعلام وفحصن تأثير تصوير هذا الإعلام
للنساء واقترحن أطراً توجيحية للإعلام وطرحن البدائل. وبالمثل
درست المجموعات النسائية والباحثات النسويات تأثير سياسات
وبرامج التنمية على النساء وحاولن التفاعل مع الحكومات
الوطنية في التخطيط للسياسات وفي تنفيذها.

الهوامش

- ١- انظري عرض أليسون جاجر الممتاز لتحليل الأبوية من قبل
مختلف تيارات النسوية في كتابها:
Feminist Politics and Human Nature (New Jersey:
Rowman and Allanheld, 1993)
- 2- Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford
and New York: Oxford University Press, 1986), p.
219).
- 3- Gerda Lerner, op. cit, p. 219.
- 4- Alison Jaggar, op. cit, P. 367.
- 5- Sylvia Wlby, *Theorizing Patriarchy* (Oxford: Basil
Blackwell, 1990).
- 6- Mary Daly, *Gyn-Ecology: the Metaethics of Radical
Feminism* (Boston: Beacon Press, 1978).
- ٧- من تقرير:
Nari Mukti Sangharsh Sammelan, Patna, 1988.
- 8- Heidi Hartmann, "the Unhappy Marriage of Marxism
and feminism: Towards a More Progressive Union",
in Capital and Class 8, Summer.
- 9- Gerda Lerner, op. cit.
- 10- Sylvia Wlby, op. cit.
- 11- Gerda Lerner, op. cit, p. 16.
- 12- Ibid, p. 23.
- ١٣ - على سبيل المثال:
Sheila Jeffery, "The Need for Revolutionary Femi-
nism" quoted in Veronica Beechy, "On Patriarchy",
Feminist Review, 3.
- 14- Veronica Beechy, op. cit.
- 15- Susan Brownmiller, *Against Our Will: Men, Women*

and Rape (New York: Bantam, 1976).

16- Gerda Lerner, op. cit, p. 46.

17- Jaggar, op. cit, p. 160.

18- Veronica Beechy, op. cit.

19- Ibid.

20- Heidi Hartmann, op. cit.

٢١ - أعيد نشر هذه الورقة في:

Maria Mies, et al, *Women: the Last Colony* (Delhi: Kali for Women, 1988).

22- Gerda Lerner, op. cit.

23- Ibid, pp. 8-11.

24- Uma Chakravarti, "Conceptualizing Barahmanical Patriarchy in Early India: Gender, Caste, Class and State," *Economic and Political Weekly*, Apr. 3, 1993.

25- Gail Omvedt, "Patriarchy and Matriarchy", *Feminist Concepts Series*, SNDT, Bombay.



يهدف مركز سالمة،
كمنظمة داعمة
لمؤسسات المجتمع
المدني والمنظمات
غير الحكومية و
المجتمعية النسوية،
لتحقيق العدالة
الاجتماعية
المرتبطة بحقوق
الإنسان المرأة
والقضايا ذات الصلة
بالنوع الاجتماعي
وذلك عبر توفير
الخدمات
المتخصصة
المرتبطة برؤيته
المركز في البحث،
التوثيق
والتدريب.

... (New York: Harper, 1976).

... (London: pp. 48, p. 48).

... (pp. 24, p. 24).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

... (pp. 48, pp. 48).

لقد وجدت الكثيرات منا، ممن
انخرطن في مختلف البرامج
والأنشطة في مجال التنمية
النسوية عبر السنين، أن من
الضروري فهم النظام الذي
يخضع النساء ويضعهن تحت
السيطرة، واستجلاء هذا
النظام بهدف العمل من أجل
تنمية النساء بشكل منهجي.